تطور التبرع بالدم
بالجهة الشرقية للمغرب

زينة صدقي
مديرة المركز الجهوي لتحاقن الدم
وجدة

إن المتتبع لمجريات عمليات التبرع بالدم و توفيره للمرضى المحتاجين في شرق المملكة يكاد لا يصدق ما آلت إليه الأمور و الأحداث من تقدم عرفته منظومة تحاقن الدم عبر السنين ...

فلقد عرفت هذه المنظومة تحولا كبيرا و ملحوظا على مر السنين و يمكننا أن نتكلم عن حقبتين أساسيتين ومختلفتين: حقبة ما قبل سنة 1996 و حقبة ما بعد هذه السنة : فقبل 1996، لم يكن عدد المتبرعين يتجاوز 4082 متبرعا سنويا و كانت نسبة المضطرين منهم للتبرع 78 بالمائة إما بسبب إنقاذ حياة ذويهم أو معرفهم أو بسبب التمكن من الحصول النهائي على رخصة السياقة و التي يجب أن تتضمن فصيلة دم السائق. و كانت نسبة النساء المتبرعات لا تتجاوز وقتها 18 بالمائة.

و في سنة 1996 هبت رياح التغيير على المركز الجهوي لتحاقن الدم بمدينة وجدة و ذلك بقدوم طبيب متخصص في أمراض الدم و نقل الدم و هو الدكتور بنعجيبة والذي جاء بمقترحات غيرت مجرى المنظومة تغييرا جذريا و كانت ضمن أولى أولياته تأسيس جمعية للمتبرعين بالدم لإيمانه الكبير بأن لا مستقبل لمنظومة نقل الدم دون مساندة المجتمع المدني الذي يمكنه استقطاب العنصر البشري والمصدر الوحيد لهذه المادة الحيوية و تم بالفعل تأسيس أول جمعية فعالة للمتبرعين بالدم بالجهة الشرقية و التي واكبت المركز و كانت خير سند له و أخذت على عاتقها مهمة و مسؤولية التحسيس و التوعية بأهمية التبرع بالدم و نشر هذه الثقافة في كل أرجاء الجهة.

لم تمر 3 سنوات حتى صارت نسبة المتبرعين بالدم الطوعيين 100 بالمائة و صار لدى المركز الجهوي الاكتفاء الذاتي من حيث كميات الأكياس الدموية و مشتقاته .

و عمل الدكتور بنعجيبة و بالموازاة مع تأسيس الجمعية، على تكوين فريق عمل نشيط داخل المركز و جله ينتمي لجمعية المتبرعين بالدم و حريص كل الحرص على العمل بمعايير الجودة المطلوبة عالميا و يقوم و بكل روح المسؤولية على تأهيل أجود مشتقات الدم للمرضى المحتاجين لها. و في نفس الوقت كان الأعضاء المنتمون لجمعية المتبرعين بالدم يستفيدون من دورات تكوينية في كل ما له صلة بالتبرع بالدم و بالوقاية من الأمراض المنقولة عبر الدم.

و شيئا فشيئا كبر نشاط المركز نظرا لارتفاع الطلب على مستخلصات الدم و ذلك بارتفاع عدد المستشفيات بشرق المملكة مع ارتفاع عدد المصحات و خلق مستشفى جامعي بمدينة وجدة، و مع هذا النشاط كبرت مسؤولية الجمعية و كبر عدد المتبرعين الذي صار يناهز 18070 سنة 2017 دون احتساب عدد المتبرعين الذي يسجله بنك الدم بمدينة الناظور. و لم يكن المركز ليوفر هذا العدد لولا تضافر مجهودات المجتمع المدني بصفة عامة و جمعيات المتبرعين بالدم بصفة خاصة و أيضا مجهودات طاقم المركز المفعلة لحملات التبرع بالدم سواء كانت داخل المركز أو خارجه.

و للحصول على الكميات اللازمة من الدم و مشتقاته، تعامل المركز عبر جمعية المتبرعين بالدم مع مؤسسات مختلفة رسمية و غير رسمية و جمعيات و مؤسسات تعليمية و مساجد و مؤسسات خاصة ، كما تعامل بالأساس مع جمعيات متخصصة في ميدان التبرع بالدم فبعد أن كانت جمعية المتبرعين بالدم بالجهة الشرقية

بوجدة وحيدة في الميدان، و بعد أن كبر نشاطها اضطرت لتأسيس فروع لها في مختلف مدن الشرق : تاوريرت و بركان و جرادة ثم أصبحت هذه الفروع جمعيات قائمة بذاتها ثم صارت جهة الشرق تتوفر على 9 جمعيات تنشط كل واحدة منها في مدينة في شرق المغرب والمثير في الأمر أن المركز لم يعد يجد مشكلا في الحصول على العدد الكافي من الأكياس بقدر ما يجد مشكلا في القدرة على مواكبة العرض على حملات التبرع بالدم نظرا للمنافسة الشديدة بين الجمعيات على استقطاب أكبر عدد من المتبرعين و نظرا لقلة و محدودية الموارد البشرية العاملة بالمركز و التي يمكنها تفعيل هذه الحملات و تأهيل الدم المتبرع به. ولهذا السبب أخذت تنسيقية الحياة لجمعيات المتبرعين بالدم لجهة الشرق على عاتقها و عبر شراكة مع المديرية الجهوية للصحة، توفير 3 ممرضين و عون و جعلهم رهن إشارة المركز الجهوي لتحاقن الدم مساهمة منها في التقليص من حدة نقص الموارد البشرية.

و من بين المنجزات التي يفتخر بها المركز وبمعية جمعيات المتبرعين بالدم أنه صنف كأحسن مركز لتحاقن الدم بالمغرب سنة 2006 خلال فعاليات مؤتمر مغاربي لتحاقن الدم. وهو أيضا أول مركز قام بإنجاح حملات التبرع بالدم بالمساجد خلال شهر رمضان المبارك ثم حذت حذوه باقي المراكز بالمغرب و هو أيضا أول مركز احتفل باليوم العالمي للمرأة بجعله يوما خاصا لتبرع النساء و يصل عدد النساء المتبرعات إلى أزيد من 492 متبرعة بالدم في مختلف مدن الجهة الشرقية و بالمناسبة تسجل جهة الشرق أكبر نسبة للمتبرعات بالدم تصل إلى 45 بالمائة . و نسبة المتبرعين بالدم المنتظمين تصل إلى 36 بالمائة و هي نسبة جد مهمة إذا عرفنا أن التبرع بالدم بصفة منتظمة يضمن إلى حد بعيد جودة و سلامة الدم المتبرع به.

و تبقى الأيام التي تخلدها منظومة تحاقن الدم من المحطات المهمة لاستقطاب متبرعين جدد و تجديد التبرع بالنسبة للمتبرعين الموسميين و من هذه الأيام اليوم العالمي للتبرع بالدم والذي يصادف الرابع عشر من شهر يونيو واليوم الوطني للتبرع بالدم و هو يوم خامس دجنبر وأيضا اليوم المغاربي للتبرع بالدم والذي يصادف كل الثلاثين من شهر مارس من كل سنة.

و تكتسي أيضا ظاهرة قوافل التبرع بالدم بجهة الشرق و التي تنظم تحت لواء تنسيقية الحياة لجمعيات المتبرعين بالدم لجهة الشرق مناسبة أيضا لرفع الحرج عن الحاجة الماسة لهذه المادة خلال فترة الصيف و الذي يكثر فيه الطلب على مشتقات الدم بينما يقل العرض على التبرع بالدم و هذه القوافل تعرف نجاحا منقطع النظير و تصحبها أنشطة موازية تشجع على التبرع بالدم و تعمل على تسليط الضوء على هذه العملية .

و لم يكتف المركز بكل هذه الأنشطة بل حاول مواكبة المستجدات العصرية و ذلك بالتعامل من خلال مواقع التواصل الإجتماعي فايس بوك و المبادرة في حقيقة الأمر أتت من بعض المجموعات الفايسبوكية التي طلبت تنظيم حملات للتبرع بالدم كنشاط ضمن الأنشطة الخيرية التي تقوم بها.. و من تم جاءت فكرة تنظيم حملات للتبرع بالدم خاصة بهذه المجموعات خلال فترة صيف 2017 و قد تطوعت 11 مجموعة و ذلك ضمن مسابقة قام بها المركز الجهوي لتحاقن الدم، و قد أخذت هذه المجموعات على عاتقها مسؤولية تنظيم حملات للتبرع بالدم تدوم 3 أيام خلال الأسبوع و تحرص ضمن هذه الحملة على حسن التنظيم و توفير ما لا يقل عن 50 متبرعة و متبرعا باليوم و تقدم نماذج إبداعية تخدم مجال التبرع بالدم، هذا و قد حصل المركز خلال صيف 2017 على ما لا يقل على 2368 كيسا من الدم الكامل و اختتمت فعاليات هذه الحملة الفايسبوكية الفريدة من نوعها بحفل كبير أقيم في مسرح محمد السادس بمدينة وجدة و كرمت فيه كل المجموعات المشاركة و منحت جوائز قيمة للمجموعات الأربع التي تصدرت الترتيب.

و المرحلة القادمة من عمل المركز ستعتمد أيضا على النظام المعلوماتي لاستقطاب المتبرعين و خصوصا لتذكير المنتظمين منهم بالتبرع و هذا في أفق 2019 بحول الله تعالى و قوته.

نذكر أن المركز الجهوي لتحاقن الدم قام بتوزيع ما يناهز 40589 من مشتقات الدم (نذكر أن كل كيس دم كامل يستخلص منه 3 مشتقات من الدم: كريات حمراء، صفائح و مصل طري) و يحصل المستشفى الجامعي محمد السادس على حصة الأسد بما نسبته 38.1 بالمائة من مشتقات الدم و يليه بنك الدم بالناظور ومستودعات الدم بمدن الشرق بما نسبته 25.8 بالمائة ثم يليه مستشفى الفارابي ب 12.6 بالمائة

و تجدر الإشارة إلى أن مركز تحاقن الدم بوجدة هو من بين مراكز تحاقن الدم الأوائل الذين تأهلوا لتصدير المصل الطري إلى مختبرات فرنسية قصد استخلاص أدوية منه.

اليوم مركز تحاقن الدم بوجدة يعيش تحديا كبيرا في كونه ملزما بالرفع من مردوديته لتوفير المزيد من مشتقات الدم نظرا للارتفاع المضطرد للطلب عليها من جهة و أيضا يجب أن يمر إلى توفير العديد من الخدمات التي سيكثر الطلب عليها منها على سبيل المثال لا الحصر: استخلاص الخلايا الجذعية و المناعة الجينية ووو ...

و لكي يكون المركز في المستوى المطلوب يجب أن توفر له بنيات تحتية تتلاءم وحجم التحديات التي تواجهه و موارد بشرية تساير هذه التحديات كما و كيفا دون أن ننسى النظام المعلوماتي.